مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانونى بملف الصحافة 2024/01م

الدكتور الحسين البقالي القاسمي
باحث في الدراسات القرآنية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان

الخسران من خلال آيات القرآن . دراسة مصطلحية

Loss in the Qur'an - a terminological study

مقدمة:

الحمد لله الذي شرفنا بوراثة الكتاب، وجعله بينا من أوثق الأسباب، الموصلة إلى العزيز الوهاب، وصلاة ربي وسلامه على النبي الأواب، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المئاب.

وبعد؛

فهذه دراسة مختصرة تروم الكشف عن مفهوم مصطلح "الخسران" في القرآن الكريم، موضحا أبرز الدلالات التي تُكَوّن مفهومه، وتبين خطره؛ لكونه يرتبط بمئال الإنسان في الدنيا والاخرة، كما أنه مصطلح تكرر كثيرا في عديد من الآيات التي تبرز أهميته في تحذير الناس من الوقوع فيه، لاسيما حين يتعلق بالخسارة الأبدية، ومن خلال استقراء آيات الخسران كمل سنرى، نجد أن هذا المفهوم يتراوح بين الخسران في النفس والمال والولد، وصولا إلى الخسران الأبدي الذي يتسم بالحرمان من رحمة الله والفوز برضاه.

وفي سبيل ذلك سأقف على معناه في المعاجم اللغوية، ثم في القرآن الكريم مستخلصا ما يمكن استخلاصه من دلالات وإشارات ترتبط بالمصطلح وسياقاته التي ورد فيها، مثل أنواع الخسران وأسبابه ونتائجه، وكذا علاقاته بالمصطلحات الأخرى؛ لأجل هذا جعلت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: خصصته لبيان دلالة مصطلح "الخسران" في القرآن الكريم، وتحته ثلاثة مطالب: المطلب الأول: دلالة لفظ "الخسران" في اللغة. المطلب الثاني: إحصاء موارد المصطلح ودلالاتها في القرآن الكريم، المطلب الثالث: الدراسة النصية المجلية لمفهوم المصطلح في الآيات.

المبحث الثاني: أسباب الخسران في القران وقضاياه. وفيه مطلبان: المطلب الأول: أسباب الخسران في القرآن وترجع إلى تسعة أمور، المطلب الثاني: قضايا الخسران في القرآن الكريم. وفيه بيان أنواع الخسران في القرآن، ثم بيان طرق الخلاص والنجاة من الخسران، من خلال النظر في سياقات آيات الخسران. وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

شِرْعة البحث

لا شك أن أي بحث علمي ينبغي أن يخضع لمنهج سديد، وخطة معينة يسير على وفقها الباحث، لذلك عالجت موضوع البحث وفق مهيع واضح، ومنهج متكامل يتمثل في الآتي:

- اعتمدت المنهج الاستقرائي من حيث تتبع آيات الخسران في القرآن وقد حاولت في دراسة الآيات أن أختصر قدر الإمكان نظرا لتردد المصطلح بقوة، في مواضع عدة، ووظفت في هذا البحث عنصري التحليل والاستنباط، سواء عند إحصاء الآيات أو دراستها في سياقها وسباقها.

-كتبت الآيات بالرسم العثماني برواية ورش عن نافع وذلك عند بداية دراسة كل آية.

-خرجت الأحاديث من كتبها الأصلية من الصحيحين أوغيرهما مع ذكراسم الكتاب والباب ورقم الحديث.

-اعتمدت على أمات المصادرفي التفسير.

- أذكر اسم الكتاب وصاحبه، واسم المحقق ودار النشر إن وجدا، ورقم الجزء والصفحة، في الإحالة الأولى إلى كتاب ما في الهامش، وعند تكرر الإحالة أكتفي بذكر اسم الكتاب وصاحبه وأحيانا بذكر الكتاب فقط.

المبحث الأول: مفهوم الخسران في القرآن

1. المطلب الأول: إحصاء آيات الخسران

وردت مادة (خ س ر) في القران الكريم في خمسة وستين موضعا موزعة على خمس وثلاثين سورة، إحدى عشرة منها مدنية وأربع وعشرون منها مكية، وجاءت بالصيغ التالية (خسر/خسروا) (الاخسرين/ الخسران) (المخسرين/ الخاسرين) (يخسر) (تخسروا) (خسرا) (يخسرون) (خاسرة) (خسارا) (تخسير) (الخاسرون)، وحصرت الكلام في هذا المبحث تحت فرعين اثنين:

الفرع الأول: الإحصاء للفظ مادة (خ س ر) بجميع صيغها

المصطلح	حجم الورود	موضعه	رقم الآية	مجاله
خسر	7	النساء الأنعام يونس الحج غافر	119 31/140 45 11 78/85	مدني مكي مكي مكي مكي
خسروا	8	الأنعام الأعراف هود المومنون الزمر	12/20 9/53 21 103 15	مكي مكي مكي مكي مكي

		الشورى	45	مكي
يخسر	1	الجاثية	27	مكي
تخسروا	1	الرحمن	9	مكي
يخسرون	1	المطففين	3	مكي
خسر	1	العصر	2	مكي
خسرا	1	الطلاق	9	مدني
الخاسرون	14	البقرة	27/121	مدني
		الأعراف	90/99/178	مكي
		الأنفال	37	مدني
		التوبة	69	مدني
		يوسف	14	مكي
		النحل	109	مكي
		المومنون	34	مكي
		العنكبوت	52	مكي
		الزمر	63	مكي
		المجادلة	19	مدني
		المنافقون	9	مدني
خاسرين	18	البقرة	64	مدني

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

		ال عمران	85/149	مدني
		المائدة	5/21/30/53	مدني
		الأعراف	23/92/149	مكي
		يونس	95	مكي
		هود	47	مكي
		الزمر	15/65	مكي
		فصلت	23/25	مكي
		الشورى	45	مكي
		الأحقاف	18	مكي
خاسرة	1	النازعات	12	مكي
خسارا	3	الاسراء	82	مكي
		فاطر	39	مكي
		نوح	21	مكي
الخسران	2	الحج	11	مكي
		الزمر	15	مكي
خسرانا	1	النساء	119	مدني
الاخسرون	2	هود	22	مكي
		النمل	5	مكي
الاخسرين	2	الكهف	103	مكي
		الأنبياء	70	مكي
تخسير	1	هود	63	مكي
المخسرين	1	الشعراء	181	مكي

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

المجموع	65

2. الفرع الثاني: تحليل الإحصاء

بالنظر الى هذا التوزيع الإحصائي وبملاحظة المعطيات الأولية التي ترتبط باستعماله مجالا وصيغة وعددا نلحظ ما يأتي:

أ _ حضور مصطلح الخسران في القرآن المكي بقوة، إذ نقف على تسعة وأربعين موضعا فيه، بينما يحضر في القرآن المدني في ستة عشر موضعا فقط.

وتفسر هذه الهيمنة بكون القرآن المكي ينسجم مع الدعوة المكية التي تتناول أصول الدين وفروعه، من العقيدة، والعبادة، والتشريع، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، و إفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء...

ب _ ورود المصطلح بالاشتقاقات المختلفة حيث يتوزع إلى ثلاثة أنواع بين المصدروالفعل والصفة.

فأما المصدر فقد جاء في ستة مواضع وهو يدل على الحدث دون الذات، ويجئ في غالبه للدلالة على المبالغة أو التوكيد وقلما يجئ مرادا به الوصف.

وأما الفعل فقد جاء على نوعين بالماضي وبالمضارع؛ فالماضي ورد في خمسة عشر موضعا وهو يدل على الحدث الو اقع في الزمن الماضي وقد يأتي الفعل الماضي أيضا مرادا به المستقبل للدلالة على تحقق الوقوع؛ والمضارع ورد في ثلاثة مواضع فقط وهو بوضعه يدل على التجدد والاستمراروتكرار الوقوع مرة بعد أخرى.

وأما الأوصاف فقد تنوعت إلى اسم الفاعل وإلى أفعل التفضيل؛ فاسم الفاعل جاء في أربعة مواضع وهو يدل على من قام به الفعل أو صدر منه؛ و أفعل التفضيل جاء في موضعين وهو لا يكون إلا بين شيئين متفاضلين في الصفة فهو يدل على أن أحدهما المعنى فيه أكثر من الآخر، وقد وصف الله الخاسرين بأنهم أشد خسر انا، وأن الخسران فيهم أكثر من غيرهم.

وهذا التنويع في المصطلح هو من خصائص الأسلوب القر آني الذي يساعد على تقريب المعنى، وهو مما يدل على التدرج والتقوية لاسيما إذا كان مرتبطا بمفهوم مهم مثل مصطلح الخسران.

ويؤكد هذا القاعدة المقررة عند النحاة، وهي اختلاف الصيغ يوجب اختلاف المعنى؛ إذ تشير إلى أن التغيير في البنية اللغوية للكلمة أو الجملة يؤدي إلى تغيير في المعنى أو المفهوم، جريا على ما للعرب من تصرفات في أساليها واستعمالات متنوعة في كلامها.

3. المطلب الثاني: دلالة لفظ الخسران في المعاجم اللغوية

الخسران: مصدر من خَسر كفَرِحَ وضَرَبَ، خَسْراً وخَسَراً وخُسْراً وخُسُراً وخُسْر اناً وخَسارَةً وخَساراً: ضَلَّ، فهو خاسِرٌوخَسِيرٌوخَيْسَرى .[1122]

وهاته المادة: الخاء والسين والراء، أصل واحد يدل على النقص، يقال خسّرت الميزان وأخسرته، إذا نقصته،[1123] وهكذا فسر الزجاج قوله تعالى: ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين: 3) أي ينقصون في الكيل والوزن.[1124]

1122 ينظر: القاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان (ص364)

1123 ينظر مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقق: عبد السلام محمد هارونط، ط/ الفكر (172/2)

1124 تاج العروس من جواهر القاموس" لمحمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين ط/ وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت (164/11).

فالأصل في الخسران كما قرر ابن فارس هو الدلالة على النقص، ولكنه يرد لمعان أخرى في استعمال العرب منها:

_ الهلاك: ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ (الزمر: 15) قال الفراء: أي غبنوهما، وقال غيره: أي أهلكوهما.

_ الغبن: يقال خسر التاجر في بيعه خسر انا: إذا غبن في تجارته.[1125]

_ انتقاص رأس المال: وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴾ [النازعات 12] ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة، والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: 15] 1126

والتحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادة: هو ما يقابل الربح أي المواضعة في قبال المرابحة ، وأما النقص والضلال والهلاك والغبن فكل واحد منهما قد يصدق وينطبق على بعض الموارد من هذا المعنى، وقد يكون من آثاره أو من أسبابه ومقدماته، قال تعالى ﴿قل هل انبئكم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: 99] والخسر هو نقص كلي في مقابل الربح ، بخلاف الوضع، ثم إن هذا النوع من النقص قد يكون في المال والأمور المادية ، وقد يكون في الأمور النفسية والمعنوية، فأما الأول فقد يصدق عليه مفهوم النقص والغبن، وأما الثاني فقد ينطبق عليه مفهوم الضلال والهلاك. وبهذا يظهر لطف التعبير بهذه المادة في موارد استعمالها في القرآن الكريم .[1127]

4. المطلب الثالث: الدراسة النصية

تروم هذه الدراسة تفهم معنى المصطلح في كل نص من النصوص التي ورد فيها، وقد جاء مصطلح الخسران في خمسة وستين موضعا كما سبق، لكن بعد طول نظر وتأمل، ونظرا لتكرر آيات الخسران وكون المعنى في مجموعها يرجع إلى معان منها مقصودة، كالغبن والنقص والهلاك والضلال وغير ذلك بالإضافة إلى تشابه سياقات بعضها وتو افق نظائرها، ارتأيت أن أدرسها دراسة نصية بحسب طبيعة ما ترجع إليه من خلال دراسة ست آيات منها بضم بعض النظائر إليها، كل آية في مطلب يخصها، وما بقي من الآيات سيتم تناوله في المبحث الثاني استثمارا للمفهوم في بيان أسباب الخسران وقضاياه.

5. أولا: الدراسة النصية للآية 31 من سورة الأنعام

تحديد المقطع وبيان معناه:

قال تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32-]

أخبرنا تعالى في هذه الآية عن خسارة من كذب بلقائه، وخيبته إذا جاءته الساعة بغتة، وندامته على ما فرط من العمل للآخرة، وما أسلف من قبيح القول. وسبب الخسارة: إنكار البعث والجزاء، فقوله تعالى: "قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله" يعني: غبن الذين جحدوا بالله، وبالبعث بعد الممات، حين اختاروا

1125 نفسه (163/11).
1126 المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ط/ دار القلم، (ص282).
1127 التحقيق في كلمات القرآن للعلامة المصطفوي: ط / مركز نشر آثار العلامة المصطفوي. خسر (3/ 61).

العقوبة على الثواب، حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة يعني: فجأة، وتفيد الآية: أنهم جحدوا وثبتوا على جحودهم حتى إذا جاءتهم القيامة قالوا يا حسرتنا يعني: يا ندامتنا وخزينا، والعرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن أمر عظيم تقع فيه جعلته نداء كقوله: يا حسرتنا ويا ويلتنا ويا ندامتنا على ما فرطنا يعني: ضيعنا وتركنا العمل في الدنيا من عمل الآخرة[1128].

وتتضمن هذه الآية تعظيم المصاب الذي حل بهم، والخسارة تستعمل في مثل هذا لأنه مَن أخذ الكفر و اتبعه فكأنه قد أعطى الإيمان واطرحه، فأشبهت صفقة أخذ وإعطاء؛ والإشارة بهذه الآية إلى الذين قالوا إنما هي حياتنا الدنيا.[1129]

فمن كان مؤمنا فإنه لا يغتر بهذه السعادات الجسمانية، ولا يكتفي بهذه الخيرات العاجلة بل يسعى في إعداد الزاد ليوم المعاد فلم يحصل له الخسران؛ فثبت بما ذكرنا أن الذين كذبوا بلقاء الله و أنكروا البعث والقيامة قد خسروا خسرانا مبينا وأنهم عند الوصول إلى موقف القيامة يتحسرون على تفريطهم في تحصيل الزاد ليوم المعاد.[1130]

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: 45]

تقدير الآية: ويوم يحشرهم حال كونهم متعارفين، وحال كونهم قائلين قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله، ويحتمل أن يكون قد خسر الذين كذبوا كلام الله، فيكون هذا شهادة من الله عليهم بالخسران، والمعنى أن من باع اخرته بالدنيا فقد خسر، لأنه أعطى الكثير الشريف الباقي، وأخذ القليل الخسيس الفاني.[1131]

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[المرسلات: 15]. لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين. فهذه هي الخسارة العظيمة، ولا خسارة أعظم من خَسارة من فُرّق بينه وبين أحبته يوم الحسرة والندامة.[1132] وهذا خسران لاربح بعده، وَما كانُوا مهتدين إلى طريق الربح أصلاً، أو إلى طريق توصلهم إلى معرفة الله ورضوانه، لترك استعمال ما منحوه من العقل فيما يوصل إلى الإيمان بالله ورسله، فاستكسبوا جهالات أدت بهم إلى الرّدى والعذاب الدائم.[1133]

6. ثانيا: الدراسة النصية للاية 141 من سورة الانعام

تحديد المقطع وبيان معناه:

قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 141]

وردت هذه الآية ردا على الأفعال الشنيعة التي ارتكبها مشركو قريش؛ فبعد أن ندد الله تعالى بفساد عقائد المشركين، ومنها إنكار القيامة والبعث والجزاء، ذكرهنا أنواعا وصورا من جهالاتهم وأحكامهم المفتراة في تحليل وتحريم بعض الزروع والثمار والأنعام، ووأد البنات وكان هذا المرتكب الفظيع عند بعض العرب

1128 ينظر: بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (1/ 443). جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري ط/ دار التربية والتراث (11/ 324).

1129 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ط / دار الكتب العلمية (2/ 283).

1130 مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت (12/ 512).

1131 تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (17/ 260).

1132 تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد السلامة ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، (4/ 272).

1133 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان (2/ 476).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

دون بعض، قال القاضي ابن عطية رحمه الله: "وكان جمهور العرب لا يفعله، ثم إن فاعليه كان منهم من يفعله خوف العيلة والإقتار، وكان منهم من يفعله غيرة مخافة السباء"[1134]ولعل هذا ما تدل عليه قراءة "قتلوا" تشديدا وتخفيفا، حيث قرأ ابن كثير و ابن عامر وهي قراءة الحسن و أبي عبد الرحمن «قَتَّلوا» بالتشديد مبالغة وتكثيراً، والباقون بالتخفيف.[1135]

فالولد نعمة عظيمة من الله على العبد، وإذا سعى في إبطاله فقد خسر خسرانا مبينا، ويستحق على ذلك الذم العظيم في الدنيا والعقاب العظيم في الآخرة، أما الذم في الدنيا فلأن الناس يقولون قتل ولده خوفا من أن يأكل طعامه وليس في الدنيا ذم أشد منه، وأما العقاب في الآخرة فلأن قرابة الولادة أعظم موجبات المحبة فمع حصولها إذا أقدم على إلحاق أعظم المضاربه كان ذلك أعظم أنواع الذنوب فكان موجبا لأعظم أنواع العقاب.[1136]

وقد وصف فعلهم هذا بالخسران لأن حقيقة الخسران نقصان مال التاجر، والتاجر قاصد الربح وهو الزيادة، فإذا خسر فقد باء بعكس ما عمل لأجله. واستعمال هذا في القرآن كثير. إذ غالبا ما يستعار الخسران لعمل الذين يعملون طلبا لمرضاة الله وثوابه فيقعون في غضبه وعقابه، لأنهم أتعبوا أنفسهم فحصلوا عكس ما تعبوا لأجله، فلا جرم أن كانوا في فعلهم كالتاجر الذي أراد الربح فباء بضياع أصل ماله، ولأجل ذلك سمى الله فعلهم سفها، لأن السفه هو خفة العقل واضطرابه، وفعلهم ذلك سفه محض، وأي سفه أعظم من إضاعة مصالح جمة وارتكاب أضرار عظيمة وجناية شنيعة، لأجل التخلص من أضرار طفيفة قد تحصل وقد لا تحصل.[1137]

7. ثالثا: الدراسة النصية للآية 22 من سورة الحج

تحديد المقطع وبيان معناه:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: 11]

بعد أن ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة :﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ [الحج: 3] حال الأتباع الجهال المقلّدين الذين يتبعون أهل الكفر والمعاصي والشياطين، ذكر هنا حال المتبوعين، الدعاة إلى الكفر والضلال، رؤساء الشر والابتداع؛ وبعد بيان حال هؤلاء المجادلين في توحيد الله بلا حجة ولا برهان، أبان تعالى حال المنافقين مضطربي الإيمان، الذين لم تستقر عقيدتهم، من جماعة الأعراب القادمين إلى المدينة بقصد المنفعة المادية، وقدكر في سبب نزول هذه الآية: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أن أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدوا على أعقابهم، فقال الله: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي على شك، ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦ﴾ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا، اطمأن به يقول: استقر بالإسلام وثبت عليه (وإن أصابته فتنة) وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا (انقلب على وجهه) أي ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله.[1138]

1134 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية(2/ 352).
1135 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ط/ دار القلم، دمشق(5/ 187).
1136 تفسير الطبري (12/ 153). تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير(13/ 161).
1137 ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ، تصحيح محمد علي شاهين ط/ دار الكتب العلمية (2/ 163). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر ابن عاشور ط/ الدار التونسية للنشر تونس(8/ 113)
1138 تفسير الطبري (18/ 575). تفسير ابن كثير (5/ 351).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

فالعبادة في قوله تعالى من يعبد الله على حرف مراد بها عبادة الله وحده بدليل قوله تعالى: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾[الحج: 12] وعلى هذا المعنى يكون قد خسر الدنيا والآخرة أي خسر في الدنيا العز والكرامة وإصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والإمامة والقضاء ولا يبقى ماله ودمه مصونا، وأما في الآخرة فيفوته الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم وذلك هو الخسران المبين ولا يبقى دمه وماله مصونا، وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل، وفي الآخرة بذهاب الدين والخلود في النار، ذلك هو الخسران المبين.[1139]

وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن، وإلا فر وطار على وجهه.[1140]

8. رابعا: الدراسة النصية للآية 15 من سورة الزمر

تحديد المقطع وبيان معناه:

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصا لَّهُۥ دِينِي فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: 14]

مما يجلي معنى الآية هنا هو سبب نزولها حيث إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وملة جدك عبد المطلب، وسادات قومك يعبدون الأصنام؟ فنزل: قل يا نبي الله إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين يعني: التوحيد، وأمرت لأن أكون أول المسلمين من أهل بلدي قل إني أخاف إن عصيت ربي وعبدت غيره، ينزل علي عذاب يوم عظيم أي: في يوم القيامة قل الله أعبد يعني: أعبد الله مخلصا له ديني أي: توحيدي. فاعبدوا ما شئتم من دونه من الآلهة، وهذا كقوله :﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] ويقال: فاعبدوا ما شئتم من دونه لفظه لفظ التخيير والأمر، والمراد به التهديد والتخويف، كقوله: "اعملوا ما شئتم" وكقوله: "قل تمتع بكفرك قليلا" ويقال: قد بين الله ثواب المؤمنين، وعقوبة الكافرين، ثم قال: فاعبدوا ما شئتم من دونه، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال، فلما أيسوا منه أن يرجع إلى دينهم، قالوا: خسرت إن خالفت دين آبائك ؛ فقال الله تعالى: "قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة" يعني: أنتم الخاسرون، لا أنا؛ بفوات الدرجات، ولزوم الشركات، ألا ذلك هو الخسران المبين.[1141] قال ابن عباس، في هذه الآية : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ هم الكفار الذين خلقهم الله للنار، وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا، وحرمت عليهم الجنة.[1142]

والآية فيها تعريف المسند والمسند إليه من طريق القصر، فيفيد هذا التركيب قصر جنس الخاسرين على الذين خسروا أنفسهم وأهليهم، وهو قصر مبالغة لكمال جنس الخسران في الذين خسروا أنفسهم وأهليهم فخسران غيرهم كلا خسران، ومعنى خسرانهم أنفسهم: أنهم تسببوا لأنفسهم في العذاب في حين حسبوا أنهم سعوا لها في النعيم والنجاح، وهو تمثيل لحالهم في إيقاع أنفسهم في العذاب وهم يحسبون أنهم يلقونها في النعيم، بحال التاجر الذي عرض ماله للنماء والربح فأصيب بالتلف.[1143]

والخسران هنا يشمل ثلاثة أمور:

1139 مفاتيح الغيب تفسير الرازي (23/ 209). لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (3/ 250).
1140 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويللمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ضبطه وصححه ورتّبه مصطفى حسين أحمد ط/ دار الريان للتراث بالقاهرة (3/ 146).
1141 بحر العلوم السمرقندي (3/ 180).
1142 تفسير الطبري (21/ 271).
1143 التحرير والتنوير (23/ 360).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

أحدها: خسروا أنفسهم بإهلاكها في النار، وخسروا أهليهم بأن لا يجدوا في النار أهلاً، وقد كان لهم في الدنيا أهل.

الثاني: خسروا أنفسهم بما حرموها من الجنة وأهليهم من الحور العين الذين أعدوا لهم في الجنة.

الثالث: خسروا أنفسهم وأهليهم بأن صاروا هم بالكفر إلى النار، وصار أهلوهم بالإيمان إلى الجنة.[1144]

9. خامسا: الدراسة النصية للآية 7 من سورة الرحمن

تحديد المقطع وبيان معناه:

قال الله تعالى: ﴿وَ أَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7]

جاءت هذه الآية إبان الحديث عن النعم والفضائل التي تكرم الله بها على عباده، وبيانه أن الله تعالى بعد أن عدد في مطلع السورة آلاءه ونعمه العظمى، مبتدئا بنعمة الدين والوحي، و إنزال القرآن وتعليمه عباده به، إذ هو النعمة الكبرى، ثم أتبعه ببيان إقامة العدل و إتمام الكيل وذكر الوعيد الشديد في نقصانه، كما في قوله تعالى: (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) [المطففين: 1- 3]

وقد قرأ الجمهور«ولا تُخسروا» من أخسر، أي نقص و أفسد، وقال بلال بن أبي بردة «تخسروا» بفتح التاء وكسر السين من خسر، ويقال خسروأخسر بمعنى: نقص و أفسد، كجبروأجبروقرأ بلال أيضا فيما حكى ابن جني: «تخسروا»، بفتح التاء والسين من خسر: بكسر السين.[1145]

وقوله تعالى: (و أقيموا الوزن بالقسط) أي: قَوموا وزنكم بالعدل، وزنوا بالحق والقسط كما قال تعالى: ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35] [الشعراء: 182] (ولا تخسروا الميزان) لا تنقصوه، ولا تبخسوا الوزن، وهو أمر بالتسوية؛ لأنه المقصود من وضعه، وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله؛ ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة، وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان.[1146]

وتجدر الإشارة الى أن الميزان ذكره الله تعالى في هذا المقطع ثلاث مرات، كل مرة بمعنى مغاير للآخر، فالأول هو آلة الوزن (ووضعَ الميزان) [الرحمن: 7]، والثاني بمعنى المصدر أي: الوزْن(ألا تطغوا في الميزان) [الرحمن: 8] والثالث للمفعول أي: الموزون: (ولا تخسروا الميزان).[1147]

ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3] أي: وإذا كالوا لغيرهم من الناس ينقصون الكيل، وإذا وزنوا لغيرهم من الناس ينقصون الوزن. وقد جاءت في سياق التوبيخ الشديد، وتَحْمِلُ التهديد والوعيد الأكيد، فإن الأصل الوفاء في الكيل والميزان، وقد أهلك اللَّه تعالى قوم شعيب، لما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان՝ ومعنى (يخسرون): يوقعون الذين كالوا لهم أو وزنوا لهم في الخسارة، والخسارة النقص من المال من التبايع.[1148] ومما يؤكد هذا كلام ابن عباس رضي الله عنه حيث قال:" كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلاً، إلى أن أنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1] فأحسنوا الكيل ، قال الفراء: "فهم من أوفى الناس كيلاً"[1149] ثم قال عز وجل: (ألا يظن) يعني: ألا يعلم

1144 ينظر: النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ط/ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. (5/ 119).

1145 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (5/ 225).

1146 الكشاف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف (4/ 444). تفسير ابن كثير (7/ 101).

1147 ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (29/ 343).

1148 التحرير والتنوير (30/ 192).

1149 النكت والعيون للماوردي(6/ 225).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

المطفف وألا يستيقن "أولئك أنهم مبعوثون" يعني: يبعثون بعد الموت (ليوم عظيم) يوم القيامة بأهوالها (يوم يقوم الناس لرب العالمين)يوم يقوم الخلائق بين يدي الله تعالى[1150]

10. سادسا: الدراسة النصية للآية 149 من سورة الأعراف

تحديد المقطع وبيان معناه:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149]

هذه الآية الكريمة جاءت حكاية لحال بني إسرائيل حين عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط، و الذي كانوا استعاروه ، فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل، عليه السلام، فصار عجلا جسدا له خوار، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه تعالى، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور.[1151]

قال الطاهر بن عاشور:"كان مقتضى الظاهر في ترتيب حكاية الحوادث أن يتأخر قوله: (ولما سقط في أيديهم) عن قوله: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) لأنهم ما سقط في أيديهم إلا بعد أن رجع موسى ورأوا فرط غضبه وسمعوا توبيخه أخاه و إياهم، و إنما خولف مقتضى الترتيب تعجيلا بذكر ما كان لاتخاذهم العجل من عاقبة الندامة وتبين الضلالة، موعظة للسامعين لكيلا يعجلوا في التحول عن سنتهم، حتى يتبينوا عو اقب ما هم متحولون إليه" .[1152]

ومعنى قوله تعالى : "ولما سقط في أيديهم"، أي لما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف جل ثناؤه صفته عند رجوع موسى إليهم، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم[1153].لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها"[1154]وقد استعمل هذا التركيب في الآية في معنى الندم وتبين الخطأ لهم، فهو تمثيل لحالهم بحال من سقط في يده حين العمل.[1155]

وقوله تعالى "ورأوا أنهم قد ضلوا" أي قد تبينوا ضلالهم تبيينا كأنهم أبصروه بعيونهم قال القاضي: يجب أن يكون المؤخر مقدما لأن الندم والتحير إنما يقطعان بعد المعرفة فكأنه تعالى قال "ولما رأوا أنهم قد ضلوا" سقط في أيديهم لما نالهم من عظيم الحسرة ويمكن أن يقال إنه لا حاجة إلى هذا التقديم والتأخير وذلك لأن الإنسان إذا صار شاكا في أن العمل الذي أقدم عليه هل هو صواب أو خطأ؟ فقد يندم عليه من حيث إن الإقدام على ما لا يعلم كونه صوابا أو خطأ فاسدا أو باطلا غير جائز فعند ظهور هذه الحالة يحصل الندم، ثم بعد ذلك يتكامل العلم ويظهر أنه كان خطأ وفاسدا وباطلا فثبت أن على هذا التقدير لا حاجة إلى التزام التقديم والتأخير ثم بين تعالى أنهم عند ظهور هذا الندم وحصول العلم بأن الذي عملوه كان باطلا أظهروا الانقطاع إلى الله تعالى فقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين بوضعهم العبادة في غير موضعها بمخالفة أمر الله سبحانه وتعالى، وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه وندم على ما صدر منه ورغب إلى ربه في إقالة عثرته ثم صدقوا على أنفسهم كونهم من الخاسرين إن لم يغفر الله لهم ويتجاوز عنهم ، وهذا الندم والاستغفار إنما حصل بعد رجوع موسى عليه السلام إليهم.[1156]

1150 تفسير السمرقندي بحر العلوم (3/ 556).
1151 تفسير ابن كثير (3/ 475).
1152 التحرير والتنوير لابن عاشور (9/ 111).
1153 تفسير الطبري (13/ 118).
1154 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (5/ 463).
1155 التحرير والتنوير(9/ 112).
1156 ينظر تفسير الرازي مفاتيح الغيب (15/ 370).

ومن الآيات التي جاءت في مثل هذا السياق قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ أَنَ اَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِے بِهِۦ عِلْمٞ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِے وَتَرْحَمْنِےٓ أَكُن مِّنَ اَ۬لْخَٰسِرِينَۖ ﴾ [هود: 47] وفيها إنابة نوح وتسليمه لأمر الله تعالى واستغفاره بالسؤال الذي وقع النهي عليه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا.[1157]

وجاء في معناها أي أن أسئلك من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته، تأدبا بأدبك و اتعاظا بموعظتك وإلا تغفرلي ما فرط منى من ذلك وترحمني بالتوبة على أكن من الخاسرين أعمالا.[1158]

وهي تدل على أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب فإن في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه ولكن لما انتفت قرابة الدين لا جرم نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله: إنه ليس من أهلك.[1159]

المبحث الثاني: أسباب الخسران في القران وقضاياه

11. المطلب الأول: أسباب الخسران في القرآن

12. أولا: ما يرجع الى التكذيب وسوء الظن بالله

أ_ التكذيب بلقاء الله

قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ اَ۬لذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اِ۬للَّهِ حَتَّيٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ اُ۬لسَّاعَةُ بَغْتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَيٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَيٰ ظُهُورِهِمْۖ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَۖ﴾ [الأنعام: 32]

ومعناه أنهم خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير إلى الله تعالى وبالبعث بعد الموت، وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الأليم، في دركات الجحيم1160وهو استئناف للتعجيب من حالهم حين يقعون يوم القيامة في العذاب على ما استداموه من الكفر الذي جرأهم على استدامته اعتقادهم نفي البعث فذاقوا العذاب لذلك، فتلك حالة يستحقون بها أن يقال فيهم قد خسروا وخابوا.1161

ومن الآيات التي تأتي في هذا السياق قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ اَ۬لنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۖ قَدْ خَسِرَ اَ۬لذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اِ۬للَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَۖ ﴾] يونس: 45]

و أيضا قوله تعالى ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذاٗ كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾ [النازعات: 12] والمعنى كرة منسوبة إلى الخسران، كقولك تجارة رابحة، أو خاسر أصحابها، والمعنى أنها إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا، وهذا منهم استهزاء1162. فهي كرة لم يحسبوا حسابها، ولم يقدموا لها زادها وليس لهم فيها إلا الخسران الخالص.

ب _ التكذيب بالأنبياء

قال تعالى :﴿اِ۬لذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ اُ۬لْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۖ اُ۬لذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُومِنُونَۖ ﴾ [الأنعام: 21] بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة الرسول ﷺ والحق

1157 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (3/ 178).
1158 تفسير الكشاف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف (2/ 400).
1159 مفاتيح الغيب (18/ 357).
1160 ينظر تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل(2/ 107).
1161 ينظر تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير (7/ 188).
1162 ينظر تفسير الرازي مفاتيح الغيب (31/ 37).

الذي جاء به كما يعرف أحدهم ولده، تماما صحة دعوته وصدقه لكنهم يكتمون ذلك عن عمد وحسد وجحدوا بأنه نبي مرسل، فضلوا وتاهوا عن الطريق، وهذا مثال يضرب في صحة الشيء عند العرب.[1163]

والضمير في قوله تعالى "يعرفونه" قيل: هو لمحمد ﷺ، أي: يعرفون نبوته، روي ذلك عن مجاهد وقتادة وطائفة من أهل العلم، وقيل: يعرفون تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، وبه قال جماعة من المفسرين .1164

ومثل هذه الآيات كثيرة في القرآن كما في قوله تعالى﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 91]

وأيضا قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 89] ودلالة هذه الاية أن جماعة من كفرة رجال قوم شعيب وهم "الملأ" الذين جحدوا آيات الله، وكذبوا رسوله، وتمادوا في غيهم، قالوا لآخرين منهم: لئن أنتم اتبعتم شعيبا على ما يقول، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى أمره ونهيه، و أقررتم بنبوته إنكم لمغبونون في فعلكم وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون إلى دينه الذي يدعوكم إليه، وهالكون بذلك من فعلكم.[1165]

ج _ سوء الظن بالله

قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: 22]

في هذه الآية تحذير أن من ظن بالله مالا يليق أرداه وجعله من الخاسرين من الكفار الذين لم يؤمنوا بالله، ولم يستقيموا على طريق الحق؛ حيث إنهم كانوا يظنون أن الله لن يحاسبهم على أعمالهم، وكانوا في شك في رحمته وعدله، وهذا الظن أدى بهم إلى الهلاك والضلال؛ قال قتادة: الظن ظنان: ظن منج، وظن مهلك.

قال القاضي أبو محمد: فالمنجي: هو أن يظن الموحد العارف بربه أن الله يرحمه، والمهلك: ظنون الكفرة الجاهلين على اختلافها.1166

13. ثانيا: ما يرجع إلى الأموال

أ _ إنفاق الأموال للصد عن سبيل الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: 36-37]

أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم ندامة وحسرة يتأسفون عليها؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله، ونسو أن الله ناصر دينه، على كل دين؛ فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات، فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي1167 ويتجلى هذا في اسم الإشارة في قوله تعالى "أولئك هم الخاسرون" فالإشارة للتنبيه على أن استحقاقهم الخبر الو اقع عن اسم الإشارة كان بسبب الصفات التي ذكرت قبل اسم الإشارة، فإن من كانت تلك حاله كان حقيقا بأنه قد خسر أعظم الخسران،

1163 تفسير ابن كثير (1/ 462).
1164 فتح القدير للشوكاني لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ط/ دار ابن كثير دمشق، (1/ 179).
1165 تفسير الطبري (12/ 565).
1166 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5/ 12).
1167 تفسير ابن كثير (4/ 53).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

لأنه خسر منافع الدنيا ومنافع الآخرة. فصيغة القصر في قوله: هم الخاسرون هي للقصر الادعائي، للمبالغة في اتصافهم بالخسران، حتى يعد خسران غيرهم كلا خسران وكأنهم انفردوا بالخسران من بين الناس.1168

ب _ الغفلة عن ذكر الله بالمال والأولاد

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9]

نهى الله عن التلهي بالأموال والأولاد عن الاشغال بذكره وسائر أنواع العبادات التي كُلف الإنسان بها من صلاة وزكاة وصيام وسائر أنواع القربات؛ وخص الأموال والأولاد بالنهي عن ذكر الله؛ لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد، ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها، تشغل عن ذكره أيضا بالتذكير لكنزها، بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها، وأما ذكر الأولاد فهو إدماج لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم، وتدبير شؤونهم وقضاء الأوقات في التأنس بهم من شأنه أن ينسي عن تذكر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة، فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغيرهما.[1169]

14. ثالثا: ما يرجع إلى الظلم

أ_ خفة الموازين

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف:8]

بين تعالى في هذه الآية: أن من ثقلت موازينهم أفلحوا، ومن خفت موازينهم خسروا بسبب ظلمهم، ولم يفصل الفلاح والخسران هنا؛ وقد جاء في بعض المواضع ما يدل على أن المراد بالفلاح هنا كونه في عيشة راضية في الجنة، وأن المراد بالخسران هنا كونه في الهاوية من النار، وذلك في قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة: 5-10][1170]

والوزن ليس مختصا بالمسلمين بل الكفار أيضا توزن أعمالهم التي لا توقف لها على الإسلام وإلى ذلك ذهب البعض؛ وادعى القرطبي أن الصحيح أنه يخفف بها عذابهم وإن لم تكن راجحة كما ورد في حق أبي طالب.1171

فميزان الله حق لا يظلم فيه أحد؛ لأن الله هو الذي يتولى وزن الأعمال، فمن رجحت كفة عمله فقد فاز الفوز العظيم ومن خفت أعماله فقد هلك وباء بالخسران المبين.

ومن الآيات التي تأتي في هذه السياق أيضا قوله تعالى﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: 104]

ب _ الإعراض عن الله

قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ [الشورى: 42]

1168 التحرير والتنوير (9/ 343).

1169نفسه (28/ 251).

1170أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ط/ دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع (2/ 9 ط الفكر).

1171 تفسير الألوسي روح المعاني ط العلمية لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ط/ دار الكتب العلمية (4/ 326).

قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ أي: ساكنين متواضعين عند أن يعرضوا على النارلما لحقهم من الذل والهوان.1172

وقوله تعالى: ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى الذي يتيقن أن يقتل فإنه ينظر إلى السيف كأنه لا يقدر على أن يفتح أجفانه عليه ويملأ عينيه منه كما يفعل في نظره إلى المحبوبات.1173

"وقال الذين آمنوا إن الخاسرين" أي: الخسار الأكبر (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أي: ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقر اباتهم، فخسروهم، وهم في عذاب دائم سرمدي أبدي، لا خروج لهم من النار ولا محيد لهم عنها.1174

15. رابعا: ما يرجع إلى القتل

أ _ قتل النفس بغير حق

قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: 32]

هذه الآية تتحدث عن قصة ابني آدم عليهما السلام قابيل وهابيل، والحديث هنا عن بداية القتل في تاريخ البشرية، جاء في تفسير الآية "فطوعت له نفسه" أي: زينت له نفسه قتل أخيه1175 وسهلت عليه القتل، وذلك أن الإنسان إذا تصور أن قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فإذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة.1176

ويدل من هذه القصة بيان تأثير الحسد والحقد وحب الذات، وأن ذلك يؤدي إلى المخاطر والمهالك والقبائح، وأن سفك الدماء تقضى على رابطة الأخوة التي تجمع بين الأخوين والناس عامة.1177

ب _ قتل الأولاد وتحريم ما رزق الله

قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: 141]

يعني: أن العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي أو الفقر واشتغلوا بالسفه من القول أو الفعل، بغير علم ولا دليل، لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم كما يرزقهم، وليسوا هم الرازقين لهم، وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوهما افتراء على الله من عند أنفسهم، قد ضلوا وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب .1178

عن ابن عباس أنه قال: "من أراد أن يعلم جهل العرب فليقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام إلى قوله تعالى: قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم" [الأنعام: 140].

قال ابن العربي -رحمه الله- وهذا كلام صحيح، فإنها تصرفت بعقولها القاصرة في تنويع الحلال والحرام سفاهة بغير معرفة ولا عدل، والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ آلهة أعظم جهلا و أكبر جرما، فإن الاعتداء على الله تعالى، أعظم من الاعتداء على المخلوقين.1179

1172 فتح القدير للشوكاني(4/ 622).
1173 تفسير الرازي مفاتيح الغيب (27/ 608).
1174 تفسير ابن كثير (7/ 215).
1175 تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي تحقيق عبد الله محمود شحاته ط/ دار إحياء التراث (1/ 470).
1176 تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 34).
1177 التفسير المنير الزحيلي (6/ 152).
1178 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2/ 178).
1179 أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي ط/ دار الكتب العلمية (2/ 276).

16. خامسا: ما يرجع إلى الكفر و اتخاذ الشيطان وليا

أ _ الجحود بنعمة الاستخلاف في الارض

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِے جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِے اِ۬لَارْضِۖ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاًۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمُۥٓ إِلَّا خَسَاراًۖ﴾ [فاطر: 39]

أوضح الله تعالى في هذه الآية أن من كفر بالله و أنكر نعمته التي هي الاستخلاف في الأرض، فإن هذا الكفر لن يضر الله أو يزيد في ملكه شيئا، بل يعود ضرره على الكافر نفسه. ويشهد لهذا المعنى ما ورد عن الزمخشري حيث قال: أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها، و أباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة، فمن كفر منكم

وغمط مثل هذه النعمة السنية، فوبال كفره راجع عليه، وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزى وصغار وخسار الآخرة الذي ما بقي بعده خسار.1180

ب _ الردة

قال تعالى :﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنُ اُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنُّۢ بِالِايمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اَللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اُسْتَحَبُّواْ اُلْحَيَوٰةَ اَلدُّنْيا عَلَي اَلَاخِرَةِ وَأَنَّ اَللَّهَ لَا يَهْدِے اِلْقَوْمَ اَلْكَٰفِرِينَۖ أُوْلَٰٓئِكَ اَلذِينَ طَبَعَ اَللَّهُ عَلَيٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَ أَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْغَٰفِلُونَۖ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِے اِلَاخِرَةِ هُمُ اُلْخَٰسِرُونَۖ﴾ [النحل: 106-109]

يوضح الله سبحانه وتعالى أن من كفر بالله بعد إيمانه إلا من اكره وأجبر على الكفر تحت تهديد أو تعذيب وقلبه مطمئن بالايمان فلا مؤاخذة عليه، أما من اختار الكفر طواعية وفضل الدنيا على الأخرة،. وهم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم و أبصارهم فسيحل عليهم غضب الله، وهم في الأخرة من الخاسرين.

وقوله تعالى:﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِے اِلَاخِرَةِ هُمُ اُلْخَٰسِرُونَۖ﴾ [النحل: 109]

(لا جرم) أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة.1181

ج _ اتخاذ دين غير الإسلام

قال تعالى:﴿وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ اَلِاسْلَٰمِ دِينا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُۖ وَهُوَ فِے اِلَاخِرَةِ مِنَ اَلْخَٰسِرِينَۖ﴾ [آل عمران: 84]

هذه الآية تبين بوضوح أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله تعالى، ويعني بذلك جل ثناؤه: ومن يطلب دينا غير دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه وهو في الآخرة من الخاسرين" أي: من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عزوجل1182 ويشهد لهذا المعنى قول الضحاك حيث قال "لا يقبل من جميع الخلق من أهل الأديان دينا غير دين الإسلام، ومن يتدين غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين أي من المغبونين، لأنه ترك منزله في الجنة، واختار منزله في النار" .1183

د _ الإيمان بالباطل والكفر بالله

قال تعالى:﴿قُلْ كَفيٰ بِاللَّهِ بَيْنِے وَبَيْنَكُمْ شَهِيدا يَعْلَمُ مَا فِے اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِۖ وَالذِينَ ءَامَنُواْ بِالْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِاللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْخَٰسِرُونَۖ﴾ [العنكبوت: 52]

1180 تفسير الكشاف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف (3/ 617).
1181 تفسير ابن كثير (4/ 605).
1182 تفسير الطبري (6/ 570).
1183 تفسير السمرقندي بحر العلوم (1/ 228).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

هذه الآية تأتي في سياق الإنذار العام الشامل للمشركين أو الكفار الذين يؤمنون بالباطل وهو إبليس، أو بعبادة الأوثان والأصنام، ويكفرون بالله لتكذيبهم برسله، وجحدهم لكتابه، وإشراكهم به الأوثان، وإضافة الأولاد والأضداد إليه، هم الخاسرون أنفسهم وأعمالهم في الآخرة1184. وعليه: فمعنى قوله تعالى (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) أي: يوم معادهم سيجزيهم على ما فعلوا، ويقابلهم على ما صنعوا، من تكذيبهم بالحق و اتباعهم الباطل، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، سيجازيهم على ذلك.1185

والقصر المستفاد من تعريف جزأي جملة هم الخاسرون قصر ادعائي للمبالغة في اتصافهم بالخسران العظيم بحيث إن كل خسران في جانب خسرانهم كالعدم فكأنهم انفردوا بالخسران فأطلق عليهم المركب المفيد قصر الخسران عليهم وذلك لأنهم حقت عليهم الشقاوة العظمى الأبدية.1186

هـ _ اتخاذ الشيطان وليا

قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيّاً مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانا مُّبِينا﴾ [النساء: 118]

أي يعبد الشيطان ويطيعه من دون الله يعني ترك أمر الله تعالى وطاعته فقد خسر خسرانا مبينا أي ضل ضلالا مبينا بينا عن الحق.1187

واعلم أن أحدا لا يختار أن يتخذ الشيطان وليا من دون الله، ولكن المعنى أنه إذا فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به صاركأنه اتخذ الشيطان وليا لنفسه وترك ولاية الله تعالى، و إنما قال خسر خسرانا مبينا لأن طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة الخالصة عن شوائب الضرر، وطاعة الشيطان تفيد المنافع الثلاثة المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان والآلام الغالبة، والجمع بينهما محال عقلا، فمن رغب في ولايته فقد فاته أشرف المطالب وأجلها بسبب أخس المطالب وأدونها، ولا شك أن هذا هو الخسار المطلق.1188

17. سادسا: ما يرجع إلى الإضلال وعدم المغفرة والرحمة

أ _ الإضلال

قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِےۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَۖ﴾ [الأعراف: 178]

أوضح ربنا في هذه الآية أن من هداه الله فلا مضل له ومن أضله الله، فقد خسر وحاد عن الطريق لا محالة؛ ففي هذا الآية تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال، أي فالذين لم يهتدوا إلى الحق بعد أن جاءهم دلت حالهم على أن الله غضب عليهم فحرمهم التوفيق.1189

ب _ عدم المغفرة والرحمة

1184 التفسير المنير (21/ 21).

1185 تفسير ابن كثير (6/ 288).

1186 تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير (21/ 17).

1187 تفسير السمرقندي بحر العلوم (1/ 340).

1188 تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (11/ 224).

1189 تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير (9/ 180).

مجلة علمية محكمة © ISSN: 3009-5611 ردمد الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:22]

هذا خبر من الله تعالى عن آدم وحواء عليهما السلام واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك، حيث قالا إننا ظلمنا أنفسنا بمخالفة أمرك وطاعة الشيطان عدوك وعدونا، وإن لم تستر ذنبنا وترض عنا وتقبل توبتنا، لنكونن من الذين خسروا الدنيا والآخرة.1190

وسميا ذنبهما وإن كان صغيرا مغفورا ظلما لأنفسهما، على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات، واستصغارهم العظيم من الحسنات1191

18. سابعا: ما يرجع إلى التطفيف والأمن من مكر الله والجهل به

أ _ الأمن من مكر الله

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 98]

أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم1192

فالمكر المضاف إلى تدبيره في سابق علمه من قدرته فلا ينبغي لأحد أن يأمن مكره، لأن أمن المكر لا يدفع القدر، ولا يخرج أحداً عن قدرة الله تعالى، ولا يخلو أحد من خوف وإن بلغ كل خوف، وإذا عرف منزلته عند الله تعالى ازداد علمه وتكاملت رغبته، فأما من لم يعرف منزلته فذلك عار عليه.1193 ولهذا

قال الحسن البصري، رحمه الله: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن" وهذا هو مكر الخير؛ لأن الله يحمي الوجود من الشر وأهله بإهلاكهم .1194﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ 98﴾ [الأعراف: 99]

ب _ التطفيف في الكيل

قال تعالى: ﴿۞أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: 181]

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالعدل في المعاملات التجارية، والصدق في القياسات الشرعية، لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بحقوق الإنسان، ومن ذلك الإيفاء بالكيل والوزن، ففي الآية نهي عن التطفيف فيهما، فالذي يبيع أو يشتري لا ينبغي له أن يظلم الآخرين بتقليل الكمية او الوزن، بل يجب أن يكون العدل هو أساس المعاملات.

فقوله: (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أي: إذا دفعتم إلى الناس فكملوا الكيل لهم، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصا، وتأخذوه إذا كان لكم تاما و افيا، ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون. 1195

ج _ العمل بغير علم

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 99]

الآية تأتي في سياق الحديث عن الخسران في الأعمال، حيث يسأل الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن أولئك الذين يظنون أن أعمالهم صالحة، ولكن في الحقيقة هي خاسرة.

1190 التفسير المنير الزحيلي (8/ 164).
1191 تفسير الكشاف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف (2/ 96).
1192 تفسير ابن كثير (3/ 451).
1193 تفسير التستري لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري تحقيق: محمد باسل عيون السود ط/ دار الكتب العلمية (ص66).
1194 تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي ط/ مطابع أخبار اليوم (7/ 4260).
1195 تفسير ابن كثير (6/ 159).

أي هل نخبركم بالذين خسروا عملهم وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم مع ذلك يظنون أنهم يحسنون فيما يصنعونه، فإذا طلبوا ذلك، فقل لهم: أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه1196.ففي الآية ما يدل على أن الكافر لا ينفعه ظنه أنه على هدى، لأن الأدلة التي جاءت بها الرسل لم تترك في الحق لبسا ولا شبهة، ولكن الكافر لشدة تعصبه للكفر لا يكاد يفكر في الأدلة التي هي كالشمس في رابعة النهار لجاجا في الباطل، وعنادا فلذلك كان غير معذور.1197

د _ ترك الحق بعد معرفته

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ 62ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[البقرة: 63]

كانت الآيات السابقة تذكيرا لبني إسرائيل بالنعم الجليلة، وأما هذه الآيات فهي تنديد بالمخالفات والمعاصي التي ارتكبوها، فإنهم نقضوا الميثاق أو العهد مع الله، وتجاوزوا النهي الإلهي في السبت، فأصبحوا كالقردة مبعدين عن رحمة الله والناس، وإذا كان هذا في بني إسرائيل الذين كانوا في عهد موسى عليه

السلام، فأجدر بسلائلهم الذين كانوا في عصر تنزيل القرآن ألا يجحدوا نبوة محمد ﷺ، خوفا من أن يحل بهم ما حل بأسلافهم.1198

والميثاق في هاته الآية كالعهد في الآيات المتقدمة مراد به الشريعة ووعدهم بالعمل بها وقد سمته كتبهم عهدا وهو إلى الآن كذلك في كتبهم، وهذه معجزة علمية لرسولنا ﷺ.1199

وقوله تعالى: (ثم توليتم من بعد ذلك): تولى تفعل، وأصله الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم، ثم استعمل في الإعراض عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعا ومجازا، وتوليهم إما بالمعاصي، فكان فضل الله بالتوبة والإمهال إليها، وإما أن يكون توليهم بالكفر، فكان فضل الله بأن لم يعاجلهم بالإهلاك ليكون من ذريتهم من يؤمن، أو يكون المراد من لحق محمدا ﷺ، وقد قال ذلك قوم، وعليه يتجه قول قتادة: إن الفضل الإسلام، والرحمة القرآن، ويتجه أيضا أن يراد بالفضل والرحمة إدراكهم مدة محمد ﷺ .1200

19. ثامنا: مايرجع إلى الارتداد عن الأدبار

قال تعالى﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:23]

بين الحق تعالى جل جلاله في هذه الآية، حاكيا عن موسى عليه السلام: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة أرض بيت المقدس، قدسها الله، حيث جعلها قرار أنبيائه ومسكن المؤمنين. التي كتبها الله لقومه في اللوح المحفوظ، أنها لكم مسكنا إن جاهدتم وأطعتم نبيكم، (ولا ترتدوا على أدباركم) أي: لا ترجعوا مدبرين هاربين خوفا من الجبابرة، أو عن دينكم بالعصيان، وعدم الوثوق بالله، فتنقلبوا خاسرين في الدنيا والآخرة1201.بفوات النصر والعيش في الأرض المباركة؛ ففي الآية ما يدل على تحقيق وعد الله لعباده المومنين، ولا يكون ذلك بالشك والتقاعس، بل بالاستجابة بأوامر االله والثقة في وعوده.

20. تاسعا: ما يرجع الى عدم النصح والتواصي وقطع الأرحام

1196 تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/ 545).
1197 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (2/ 13).
1198 نفسه (1/ 180).
1199 تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير (1/ 542).
1200 تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 159).
1201 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2/ 26).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

أ ـ عدم النصح والتواصي بالحق

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3]

أمر الله سبحانه وتعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع كثيرة من القرآن واستثنى هنا من الحكم بالخسران أهل الإيمان والعمل الصالح والتناصح بالحق وبالصبر ،فلما كان الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر من طرق أسباب النجاة من الناركان عدمها موجبا للخسران.

ثانيا: نقض الميثاق وقطع الأرحام والإفساد في الأرض

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: 26]

إن نقض الميثاق وقطع الأرحام والإفساد في الأرض من القضايا المخالفة للدين، ولا تتناسب مع قيم الإسلام، فهي ليست من عمل المسلم ولا من شيمه، خاصة وأن هذه الأمور الثلاث تعد من أصول العبادات التي ترتكز عليها الشريعة.

وعليه؛ فمعنى قوله "الذين ينقضون" أي يخالفون ويتركون، وأصل النقض الفسخ وفك المركب، "عهد الله" أي أمر الله، وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال من بعد عقده وتوكيده1202."ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل" أنهم أمروا أن يؤمنوا بجميع الأنبياء فآمنوا ببعضهم ولم يؤمنوا ببعضهم. وقيل: أمروا بصلة القرابات فقطعوا الأرحام فيما بينهم.1203 "ويفسدون في الأرض" أي بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، أولئك هم الخاسرون الكاملون في الخسران، نعوذ بالله من الخذلان.1204

21. المطلب الثاني: قضايا الخسران في القرآن الكريم

من خلال النظر في نصوص مصطلح الخسران وما تضمنه من دلالات وإشارات، تتجلى لنا عدة قضايا أشرنا إليها في فصول البحث السابقة أثناء الدراسة النصية، وهذه القضايا تعد امتدادا معرفيا لمجالات استعمال المصطلح، ولا يمكن استعماله، أو فهمه إلا بتحليلها و إفرادها بالدرس ضمن مبحث القضايا.

و انطلاقا من نصوص المصطلح التي تقدمت فإنه يمكن جمع هذه القضايا تحت مطلبين سنبين فيها أنواعه، ووسائل النجاة منه، مستندا إلى ما سبق بيانه في الدراسة النصية.

22. أولا: أنواع الخسران في القرآن.

23. أ ـ باعتبار صدوره

جاء وصف الخسران في مجمله لكل من اتصف بأفعال ذميمة، وهذه الصفات هي الأسباب التي استحق بها الذم واستوجبت الخسران ويتجلى معظمها في ما يلي:

ـ المتخذ الشيطان وليا قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 118]

ـ المكذب بلقاء الله قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: 32]

1202 تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (1/ 33).
1203 ينظر تفسير السمرقندي بحر العلوم (1/ 38).
1204 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (1/ 90).

_ الفاعل للمحرم قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهاًۢ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اُ۬للَّهُ اُ۪فْتِرَآءً عَلَي ٱللَّهِۚ قَد ضَّلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَۖ﴾ [الأنعام: 141]

_ الكافر قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمُۥٓ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ اِ۬لتِے قَدْ خَلَتْ فِے عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَۖ﴾ [غافر: 84]

_ المبطلون قال تعالى: ﴿وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا رُسُلاٗ مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ اَنْ يَّاتِيَ بِـَٔايَةٍ اِلَّا بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ فَإِذَا جَآءَ اَمْرُ اُ۬للَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَۖ 77﴾ [غافر: 77]

_ المطفف في الكيل قال تعالى: ﴿۞أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَۖ﴾ [الشعراء: 181]

_ الآمن من مكرالله قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اَ۬للَّهِۖ فَلَا يَامَنُ مَكْرَ اَ۬للَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَۖ﴾ [الأعراف: 98]

_ المشتغل بالأموال والأولاد عن ذكرالله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمُۥٓ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اِ۬للَّهِۖ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَۖ﴾ [المنافقون: 9]

_ المرتد على الأدبارقال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ اِ۟دْخُلُواْ اُ۬لَارْضَ اَ۬لْمُقَدَّسَةَ اَ۬لتِے كَتَبَ اَ۬للَّهُ لَكُمْۖ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَيٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَۖ﴾ [المائدة: 23]

_ المنقلب على وجهه بسبب فتنة قال تعالى: ﴿وَمِنَ اَ۬لنَّاسِ مَنْ يَّعْبُدُ اُ۬للَّهَ عَلَيٰ حَرْفٖ فَإِنَ اَصَابَهُۥ خَيْرٌ اِ۪طْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنَ اَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ اِ۪نقَلَبَ عَلَيٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ اَ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةَۖ ذَٰلِكَ هُوَ اَ۬لْخُسْرَانُ اُ۬لْمُبِينُۖ﴾ [الحج: 11]

_ الذي ضل سعيه في الحياه الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالَاخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً اَ۬لذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِے اِ۬لْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْيا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاًۖ﴾ [الكهف: 99]

24. ب _ باعتبار مجاله

أولا: الخسران الآخروي

إن خسران الدنيا هين يمكن للإنسان تداركه ما دام في الحياة وهذا يحصل نتيجة القرارت والأفعال التي تتعارض مع الشرع، أما خسران الآخرة الذي يستوجب الخلود في النار_نسأل الله أن يحرم أجسادنا عنها _ فهو من أعظم المصائب التي يواجهها الإنسان ، لأن فرص النجاة قد فوتها على نفسه بسبب اختياره طريق الضلال والهلاك، فلا فوزولا أمل في التوبة والرجوع له بعد الوفاة، ومن تمام رحمة الله علينا أن هيأ لنا طرق وأسباب النجاة في الحياة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اِ۪تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَيٰۖ وَمَنَ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِے فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكاٗ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ أَعْمَيٰۖ﴾ [طه: 121-122]

وهذا الخسران جاء في القرآن الكريم على صور مختلفة في العديد من الآيات بالرغم من اختلاف اعتبارها وطريقها إلا أنها تتفق في نتيجة واحدة فمن ذلك:

_ الشرك بالله

قال تعالى: ﴿وَلَقَدُ اُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَي ٱلذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَۖ﴾ [الزمر:62]

إن من أعظم الجرائم التي قد يقترفها الإنسان الشرك بالله الذي يهدد عقيدة المسلم ويحرمه من رحمة الله ورضوانه، فالشرك بالله يحبط الأعمال الصالحة ولا ينفعه مهما كان صالحا قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَيٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٖ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُوراًۖ﴾ [الفرقان: 23]

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد به غيره، لأن الله عزوجل عصم نبيه ﷺ من الشرك، وفيه تهديد لغيره "ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين" أي لإنعامه عليك1205.فالله تعالى علم أن النبي ﷺ لا يشرك بالله، ولكنه أراد تنبيها لأمته، أن من أشرك بالله، حبط عمله، وإن كان كريما على الله.1206

_ التكذيب بيوم البعث

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٖ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: 26]

لما ذكر الله تعالى في هذه الآية بعض مفاسد اعتقاد المشركين وهي إنكار البعث، وإنكار الإله القادر،بغيرحجة ولا دليل منهم، أخبرتعالى أنه مالك السموات والأرض، الحاكم فيهما في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال: (ويوم تقوم الساعة) أي: يوم القيامة (يخسر المبطلون) وهم الكافرون بالله الجاحدون ما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات1207، بمعنى أن في ذلك اليوم يظهرخسران أصحاب الأباطيل وهم الكفاريصيرون إلى النار.

_ ظلم النفس

قال تعالى :﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 22]

هذه الآية جاء في سياق الحديث عن آدم وحواء عليهما السلام لما أكلا من الشجرة وعصيا ربهما بمخالفة أمره بالأكل مما نهاهما الله عنه، والقصد من القصة إرشاد الناس إلى طرق الهداية، وتحذيرهم من وساوس الشياطين.

ومعنى الآية: "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا" بأكلنا الشجرة فاغفر لنا وتجاوزعن معصيتنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا يعني: إن لم تتجاوز عن ذنوبنا لنكونن من الخاسرين بالعقوبة فهذه لام القسم كأنهما قالا: والله لنكونن من الخاسرين إن لم تغفر لنا وترحمنا1208؛ وكلّ خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى، دون الخسران المتعلّق بالمقتنيات الدّنيويّة والتّجارات البشريّة.1209

ثانيا: الخسران الدنيوي

من خلال تتبع آيات الخسران في القرآن الكريم نجد أن الخسران قد يقع للإنسان في الدنيا بسبب فقد مال أو كسد تجارة أوصحة أوما أشبه ذلك، نتيجة لأعمال خاطئة، إلا أن هذا أقل شأنا من الخسران الأخروي، لأنه يمكن تداركه وتجاوزه كما أوضح القرآن الكريم.

وهذا الخسران جاء في القرآن على صورفمنها:

_ طاعة الكفار

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 149]

وسبب نزول هذه الآية ما روي عن علي رضى الله عنه انه قال: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم. وعن الحسن رضى الله عنه: إن تستنصحوا اليهود والنصارى

1205 تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (4/ 63).

1206 تفسير السمرقندي بحر العلوم (3/ 193).

1207 تفسير ابن كثير (7/ 270).

1208 تفسير السمرقندي بحر العلوم(1/ 508).

1209 المفردات في غريب القرآن (ص282).

وتقبلوا منهم، لأنهم كانوا يستغووهم ويوقعون لهم الشبه في الدين، ويقولون: لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم، و إنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه.1210

ففي هذه الآية يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين، فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا قبل الآخرة، لذا قال: يا أيها المؤمنون إن تطيعوا الذين كفروا بدينكم وجحدوا نبوة نبيكم كأبي سفيان وأصحابه وعبد الله بن أبي زعيم المنافقين و أتباعه، ورؤوس اليهود والنصارى، يردوكم كافرين بعد الإيمان، فتصبحوا خاسرين في الدنيا بذل الكفر بعد عزة الإسلام، وتحكم العدو فيكم، وحرمانكم من متعة الملك والتمكين في الأرض.1211

_ المنقلب على وجهه بسبب فتنة

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنَ اَصَابَهُۥ خَيْرٌ اِطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنَ اَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ اِنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيا وَالَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]

عبر بالناس الذي مدلوله الاضطراب والتردد دون أن يضمر[1212] (من يعبد الله على حرف) أي: على شك وعلى وجه الرياء، ولا يريد به وجه الله تعالى؛ ويقال: على شك، والعرب تقول: أنت على حرف، أي على شك ويقال: على حرف بلسانه دون قلبه[1213] وحرف الشي بعضه، فكأنه يعبد الله بلسانه ويعصيه بقلبه ﴿فَإِنَ اَصَابَهُۥ خَيْرٌ اِطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنَ اَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ اِنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: 11]1214 لتهيئه للانقلاب بكونه على شفا جرف فسقط عن ذلك

الطرف من الدين سقوطا لا رجوع له بعد إليه ولا حركة له معه، فإن الإنسان مطبوع على المدافعة بكل عضو من أعضائه عن وجهه فلا يمكن منه إلا بعد نهاية العجز، والمعنى أنه رجع إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر أو الشك رجوعا متمكنا، وهذا بخلاف الراسخ في إيمانه، فإنه إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء حمد وصبر، فكل قضاء الله له خير.

ولما كان انقلاب هذا مفسدا لآخرته بما ناله من الوزر، وغير نافع له في استدراك ما فاته من الدنيا، كانت فذلكة ذلك قوله: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيا﴾ [الحج: 11] أي بسبب أن ذلك لا يرد ما فاته منها ويكون سبب التقتير عليه وذهاب بركته1215 وكلّ خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى ، دون الخسران المتعلّق بالمقتنيات الدّنيويّة والتّجارات البشريّة.1216

_ التطفيف في الكيل

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمُۥ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3]

قال ابن عباس: كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلاً، إلى أن أنزل الله تعالى: {ويل للطففين} فأحسنوا الكيل، قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.1217

قوله تعالى (وإذا كالوهم أووزنوهم) يعني وإذا كالوا لهم أووزنوا لهم للناس ،كما يقال نصحتك ونصحت لك. ومعنى: (يخسرون) أي ينقصون الكيل والوزن، وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع إلى غيره ناقصا، ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن إذا لم يتب منه فإن تاب منه ورد الحقوق إلى أهلها قبلت توبته

1210 تفسير الكشاف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف (1/ 425).
1211 التفسير المنير الزحيلي (4/ 120).
1212 نفسه (13/ 17).
1213 بحر العلوم (2/ 450).
1214 النكت والعيون (4/ 10).
1215 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (13/ 17).
1216 المفردات في غريب القرآن (ص282).
1217 النكت والعيون(6/ 225).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

ومن فعل ذلك، وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع، فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن[1218] ويدل على هذا التقديم في افتتاحية السورة بالويل للمطففين، لأنه يشعر بشدة خطر هذا العمل، وهو فعلا خطير، لأنه مقياس اقتصاد العالم وميزان التعامل، فإذا اختل أحدث خللا في اقتصاده، وبالتالي اختلال في التعامل، وهو فساد كبير1219، ولهذا قال ربنا متوعدا: ﴿وَيۡلٞ﴾ أي: هلاك ثابت عظيم في كل حال من أحوال الدنيا والآخرة ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: 1] أي الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس، وفي ذلك تنبيه على أن أصل الآفات الخلق السيء وهو حب الدنيا الموقع في جمع الأموال من غير وجهها ولو بأخس الوجوه: التطفيف الذي لا يرضاه ذو مروءة.1220

25. ثانيا: طرق الخلاص والنجاة من الخسران

اقتضت حكمة الله ألاّ ينجو أحد من الخسران يوم القيامة لا بحسبه ولا بنسبه ولا ماله ولا منصبه، بل جعل لذلك وسائل خاصة جعلها عصمة من الخسران، وأمانا من العذاب، وتتجلى فيما يأتي:

-الإيمان بالله

-العمل الصالح

-التواصي بالحق

-التواصي الصبر

وقد تناولت سورة العصر-على قصرها - هذه الأصول الأربعة ولنقف مع هاته السورة ببيان أهم مضامينها.

قال تعالى: ﴿وَالۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر 1-3]

أقسم الله تعالى بالعصر الذي هو الدهر أو الزمان، والله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بمعظم، فدل هذا على عظم العصر والزمان المشتمل على العجائب الدالة على قدرة الله وحكمته البالغة.

وقد حكم بذلك على الإنسان بالخسران حيث قال: (إن الانسان لفي خسر) والخسر: الخسران، كالكفر والكفران، وأيّ خسران أعظم ممن خسر الدنيا والآخرة.[1221] واللام في لفظ الإنسان لاستغراق جنسه، فالمرادُ به العمومُ بدليلِ الاستثناءِ منه،[1222] فيشمل الحكمُ المؤكد في الآية كل فرد من الإنسان ، وأكدها بإنّ حتى لا يبقى في ذلك مجال للشك والعناد والتحايل ،فلا سبيل للنجاة من ذلك إلا بالاعتصام بحبل الإيمان والتقوى والمعروف من شرع الله، فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: « الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.[1223]

وقد بينت السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان والأعمال الصالحات، -وهو ما يعود على النفس-، ومن التواصي بالخيرات وكف النفس عن المناهي أو المعاصي، -وهو ما يعود إلى المجتمع.[1224]

1218 تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (4/ 403).
1219 ينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (8/ 454).
1220 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (21/ 311).
1221 البحر المحيط في التفسير (10/ 539).
1222 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (11/ 103).
1223 اخرجه الإمام مسلم في كتاب الايمان -باب بيان انه لا يدخل الجنه الا المؤمنون رقم 55
1224 التفسير المنير - الزحيلي (30/ 390).

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

والخسر: النقصان، (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلهم أجر غير منقوص ،كما قال الله تعالى: (ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) يعني: يكتب لهم ثواب عملهم وإن ضعفوا عن العمل؛ قال الزجاج: "إن الإنسان أراد به الناس، والخسران واحد، ومعناه إن الإنسان الكافر والعاملين بغير طاعة الله تعالى لفي خسر".[1225]

والمعنى: أن الناس في خسران من تجارتهم إلا الصالحين وحدهم، لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، فربحوا وسعدوا، ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم، فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته، و اتباع كتبه ورسله، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده1226.فإذا حملنا الإنسان على الجنس كان معنى الخسر هلاك نفسه وعمره، إلا المؤمن العامل فإنه ما هلك عمره وماله، لأنه اكتسب بهما سعادة أبدية، وإن حملنا لفظ الإنسان على الكافر خاصة كان المراد كونه في الضلالة والكفر إلا من آمن من هؤلاء، فحينئذ يتخلص من ذلك الخسار إلى الربح.1227

وقوله تعالى: (لفي خسر) بالتنكير، ولم يقل: لفي الخسر بالتعريف، لأن التنكير يفيد التهويل تارة والتحقير أخرى، فإن حملناه على الأول كان المعنى إن الإنسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله، وتقريره أن الذنب يعظم بعظم من في حقه الذنب، أو لأنه وقع في مقابلة النعم العظيمة، وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه، فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظم، وإن حملناه على الثاني كان المعنى أن خسران الإنسان دون خسران الشيطان، وفيه بشارة أن في خلقي من هو أعصى منك.[1228]

ويشهد لهذا المعنى أن أبا بكر لما أسلم قالوا: خسرت يا أبا بكر حين تركت دين أبيك، فقال أبو بكر: ليس الخسارة في قبول الحق إنما الخسارة في عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم فنزل جبريل- عليه السلام- بهذه الآية (والعصر).1229

خاتمة:

إنّ مصطلح الخسران في كتاب ربنا خطير، لاسيما و أنه مرتبط أساسا بخسارة الآخرة، بل بهما معا، فالخسر كما سلف هو نقص كلي في مقابل الربح، قد يكون في المال والأمور المادية، وقد يكون في الأمور النفسية والمعنوية، الأول يصدق عليه مفهوم النقص والغبن، والثاني ينطبق عليه مفهوم الضلال والهلاك؛ لذا يجدر بالعاقل أن يتجنب أبواب الخسران، المادية والمعنوية: من تكذيب بلقاء الله، وإعراض عنه، أو الاشتغال بالمال والمتاع، أو أن يأمن مكر الله وعقابه، فالله يمهل ولا يهمل، كما يجب أن يحذر المسلم من أكل أموال الناس بالباطل، بالغش في معاملاته، أو بظلمهم بقطع الأرحام، كما أنّ هذا المصطلح يدعو إلى العلم قبل العمل؛ إذ العمل بغير علم سبب موجب للخسران، يمكن تلخيص أهم النتائج المستفادة من دراسة مصطلح الخسران في القرآن فيما يأتي:

- الكفر بالله والشرك من أخطر أسباب الخسران في الدنيا والآخرة التي ذكرها القرآن.
- تعدد أسباب الخسران ودورانها حول مخالفة أوامر الله.
- الاستكبار على الحق و اتباع الهوى من أكثر أسباب الخسران.
- الخسران كما يلحق الإنسان في الدنيا يلحقه في الآخرة والعياذ بالله.

1225 تفسير السمرقندي بحر العلوم (3/ 615).
1226 تفسير الكشاف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف (4/ 794).
1227 تفسير الرازي مفاتيح الغيب (32/ 279).
1228 المصدر السابق (32/ 279).
1229 تفسير السمرقندي بحر العلوم (3/ 615).

- الخسران مدعاة لهلاك الإنسان.
- النجاة من الخسران لها أسس أربعة: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

فهرس المصادر والمراجع

"القرآن الكريم" برواية ورش عن نافع

- "أحكام القرآن" للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) ط/ دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان.
- "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت 1224هـ) تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان
- "التحقيق في كلمات القرآن" للعلامة المصطفوي : ط / مركز نشر آثار العلامة المصطفوي
- "التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون" لأستاذ الدكتور مأمون حموش المدقق أحمد راتب حموش.
- "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" لوهبة الزحيلي ط/ دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991م.
- "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ط/ دار القلم، دمشق.
- "القاموس المحيط "لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ط/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
- "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت 538 هـ]، ضبطه وصححه ورتّبه مصطفى حسين أحمد ط/ دار الريان للتراث بالقاهرة الطبعة الثالثة 1407 هـ - 1987م.
- "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب" العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ط / دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- "المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي ط / دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - 1412هـ.
- "النكت والعيون" لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ط/ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

مجلة علمية محكمة © ردمد ISSN: 3009-5611 الإيداع القانوني بملف الصحافة 2024/01م

- "بحر العلوم المؤلف" لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 373هـ)
- "تاج العروس من جواهر القاموس" لمحمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين ط/ وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (1385 - 1422 هـ) = (1965 - 2001 م).
- "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر ابن عاشور ط/ الدار التونسية للنشر تونس.
- "تفسير التستري" لأبي محمد سهل التستري
- "تفسير الشعراوي الخواطر" لمحمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ) ط/ مطابع أخبار اليوم
- "تفسير القرآن العظيم" لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774 هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م.
- "تفسير مقاتل بن سليمان" لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت 150هـ) تحقيق عبد الله محمود شحاته ط/ دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
- "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (224 - 310هـ) ط/ دار التربية والتراث - مكة المكرمة.
- "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 1270 هـ) ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.
- "فتح القدير" لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ) ط/ دار ابن كثير دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.
- "لباب التأويل في معاني التنزيل" لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ) ، تصحيح محمد علي شاهين ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- "معجم مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)،تحقق: عبد السلام محمد هارونط/ دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- "مفاتيح الغيب التفسير الكبير" لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ) ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420هـ. تحقيق عبد السلام محمد هارون ط/ دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م. ط/ الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: 1419 هـ.